

الأبعاد القيمية للدّرس العقدي لدى أبناء الأقلية المسلمة في الغرب

The Value Dimensions of the Doctrine Lesson Among the Members of the Muslim Minority in the West - An Approach Between Concept and Reality-

حبّية معنصر

جامعة الحاج لخضر باتنة 1 (الجزائر) habiba.mansar@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/12/30 تاريخ القبول: 2024 /12/30 تاريخ النشر: 2024 /12/30

ملخص: جاءت هذه الورقة لتسلط الضوء على الأقلية المسلمة التي تعيش في الغرب، وتسعى جاهدة لتلقي الدرس العقدي بكلّ أمانة، وتوريثه للأبناء بطريقة صحيحة ومواكبة للواقع الغربي؛ بغية المحافظة على الهوية الإسلامية لأبنائها الناشئين في تلك البلاد، والذين إن وجدوا المؤسسات المؤطرة لهم على النحو المطلوب، لكانوا قوة فاعلة، وهذا ينعكس إيجاباً على الأمة الإسلامية، والدفع بها لمواكبة مسيرة النهضة والتقدّم بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى.

وقد خلص البحث إلى أنّ تلقي الدرس العقدي من طرف أبناء الأقلية المسلمة في الغرب له أبعاد من شأنها أن تكون أجيالاً تعتزّ بهويتها الأمّ، وتكون قوة فاعلة على الصعيدين الإسلامي والغربي.

كلمة مفتاحية: العقيدة؛ القيم؛ الأقلية المسلمة؛ الغرب؛ الدرس.

Abstract:

This paper came to shed light on the Muslim minority that lives in Western countries, and strives to receive the doctrinal lesson with all honesty, and pass it on to generations in a correct manner that is consistent with Western reality. In order to preserve the Islamic identity of its emerging children in that country, who, if they had the institutions to govern them as required, would be an effective force, and this reflects positively on the Islamic nation and pushes it to keep pace with the process of renaissance and progress in all the meanings of the word.

The research concluded that receiving a doctrinal lesson from members of the Muslim minority in the West has dimensions that will create generations that take pride in their motherly identity and become an effective force on both the Islamic and Western levels.

Keywords: doctrine; Value; Muslim minority; West; lesson.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير الأنام، محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنّ الدّرس العقدي بمفهومه ومناهجه التعليمية له أهمية كبرى في حياة المسلم، لأنّه أساس التفكير، ومنه ينطلق الإنسان لخوض معترك الحياة بكلّ مجالاتها أينما وجد، وحيثما حلّ. والأقلّيّة المسلمة في الغرب باعتبارها لبنة من لبنات الأُمّة الإسلامية، تعمل جاهدة لتحصيل الدرس العقدي الصحيح والقوي لأبنائها؛ خوفا من ضياع دينهم وانجرافهم نحو الضلال والانحراف، في بيئة أغلبية متعدّدة المناهل والمشارب.

فجاء هذا البحث؛ ليسلّط الضوء على الأبعاد القيّميّة للدّرس العقدي لدى الأقلّيّة المسلمة في الغرب، وهي مقارنة بين المفهوم كنظريات وكإطار عام، وبين الواقع المعيش للأقلّيّة المسلمة في تلك البلاد، وأزمة الصراع من أجل الحفاظ على الهوية الأمّ لأبنائها.

وقد هدف البحث أيضا إلى تحديد المفاهيم من جهة، وإلى إسقاطها على أرض الواقع من جهة أخرى، ومن ثمّ إيجاد حلول لما تعانيه الأقلّيّة المسلمة في الغرب فيما يخص تلقّي الدّرس العقدي، وربطه بواقعها الذي تعيشه.

ومن الأسباب التي من أجلها تمّ اختيار هذا الموضوع، ندرة التطرّق لمشكلات الأقلّيات المسلمة، وما تعانيه عبر العالم. وكذا حادثة إسقاط ما يعتريها من نوازل على الموروث الإسلامي عقيدة وشرعية، والمؤلّفات الجادة في هذا الباب تعدّ على الأصابع. وكسبب ذاتي معاشتي للأقلّيّة المسلمة في إسبانيا، وأعدّ جزءا منها، ولي وعي بمدى أهمية الدرس العقدي لهذه الشريحة من الأُمّة الإسلامية.

ولبيان هذا، تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، حيث تمّ تناول مفاهيم مصطلحات العنوان في المبحث الأوّل. وأمّا في الثاني، فقد تمّ تفصيل الأبعاد القيّميّة للدّرس العقدي بالنسبة لأبناء الأقلّيّة المسلمة في الغرب. وفي المبحث الثالث، فقد تمّ بسط نماذج تطبيقية تبرز أبعاد الدرس العقدي وجودا وعدما وانعكاساته على أبناء الأقلّيّة المسلمة في الغرب. وفي الأخير، تمّ وضع خاتمة شملت جملة من النتائج والتوصيات التي من شأنها أن تخدم أهداف الملتقى.

وفي سبيل إنجاز هذا البحث، تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي؛ وذلك بوصف الظواهر والمسائل كما هي على حقيقتها. وكذا على معاينات الباحثة الشخصية (أي منهج الملاحظة) لجملة من النماذج والتجارب في أوساط الأقلية المسلمة في إسبانيا. كما تمّت الاستعانة بآلية التحليل؛ كلّما دعت الحاجة إلى ذلك. ومن أجل دراسة الموضوع، تمّ الاستئناس بجملة من المصادر باللغة العربية وكذا الإسبانية.

المبحث الأول: تعريف مصطلحات البحث

في هذا المقام، سوف يتمّ تعريف مصطلحات موضوع الدراسة في السياقين: اللغوي، والاصطلاحي، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الدرس العقدي

الفرع الأول: تعريف لفظ "الدرس"

أولاً: في اللغة

من درس يدرس دراسة، كأنّه عائد حتى انقضاء للحفظ. وقيل: درس بمعنى قرأ. ودرست الكتاب أدرسه درساً أي ذلّته بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليّ. وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء. والدّرس: أثر الدارس. وهو يأتي بمعنى: الطريق الخفي (ابن منظور، 2003 م، الصفحات 245-246).

ثانياً: في الاصطلاح

وردت عدّة تعريفات لمصطلح الدرس، يذكر منها:

1- هو فترة منظمة من الوقت يقصد فيه حدوث التعلّم. وهو يتضمّن طالباً أو أكثر، يتمّ تدريسه من قبل معلّم أو مرشد.

(Distance Education Accrediting Commission, 2013)

2- هو طريقة لتلقين المعارف أو التعليمات، وتصمّم على أساس مشاركة مجموعة من المتدربين أو الدارسين في تحقيق أهداف معيّنة كالكسب أو تنمية وتطوير معارف ومهارات واتجاهات معيّنة (مستشار، 2016).

الفرع الثاني: تعريف لفظ "العقدي"

أولاً: في اللغة

لفظة (العقدي) صفة، وأصلها العقيدة، وهي في اللغة مشتقة من العقد، وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراصة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم والعقد: نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله (تعالى): [لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ] (المائدة/89). (ابن منظور، 2003، الصفحات 10/ 221-223)

ثانياً: في الاصطلاح

العقيدة في الاصطلاح العام هي: "الأمر التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة." (ضميرية، 1996، صفحة 122) والعقيدة الإسلامية هي: "الإيمان الجازم بربوبية الله (تعالى) وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)." (عطا صوفي، 1423 هـ، صفحة 9).

الفرع الثالث: تعريف "الدرس العقدي" كمصطلح مركّب

من خلال ما سبق، يمكن تعريف الدرس العقدي كمصطلح مركّب عامّ كالآتي: "هو فترة منظمة من الوقت يقصد فيه حدوث تعلّم أمور يصدّقها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك".

وأما الدرس العقدي الإسلامي فهو: "فترة منظّمة من الوقت يقصد فيه حدوث تعلّم الإيمان الجازم بربوبية الله (تعالى) وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)".

المطلب الثاني: تعريف "الأقلية المسلمة"

الفرع الأول: تعريف لفظ "الأقلية"

أولاً: في اللغة

من الفعل قلل: بمعنى القلّة، وهي خلاف الكثرة. والثقل والقلة مثل الذل والذلة. والثقل من الرجال: الخسيس الدين. ورجل قُلٌّ: قصير الجثة والدقيق. وقوم قليلون وأقلاء وقُلل وقُلون: يكون ذلك في قلة العدد ودقة الجثة، قال (تعالى): [واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم] (الأعراف/86). (ابن منظور، 2003، صفحة 12 / 180)

ويمكن القول هنا، أنّ (الأقلية) في اللسان العربي تأتي بمعنى القلّة في العدد، وتأتي بمعنى الذلّة والضعف، وقد تجمع المعنيين معاً، فتأتي بمعنى القلّة في العدد مع الذلّة والضعف.

ثانياً: في الاصطلاح

اعتمد الدّارسون لموضوع الأقليات على ثلاثة اتجاهات رئيسية في تحديد مفهومها، وقدّموا عدّة تعريفات وفقاً لذلك، وهي:

1: الاتجاه العددي

يرى أنصار هذا المعيار أنّ مفهوم الأقلية مرتبط بعدد الأفراد المنتمين إليها، والذين تجمعهم روابط مشتركة وتميزهم عن غيرهم داخل المجتمع المشكل للدولة الواحدة على إقليمها، ويرون أنّ الأقلية هي الجماعة العرقية الأقل عدداً في مجتمع ما، وأنصار هذا الاتجاه من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية والدراسات القانونية. (وهبان، 2001، صفحة 152)

2: اتجاه الفاعلية

يرى أنصار هذا المعيار أنّ الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي هو العنصر المحدّد لمفهوم الأقلية وهي - على حسبهم - كلّ جماعة عرقية مستضعفة، أو متهجرة، أو مغلوب على أمرها، بغض النظر عن عدد أفرادها، كثرة كانوا أو قلّة. ويستدلّون على ذلك، بوضع الهنود الحمر في أمريكا في بداية الغزو الأوروبي لها، وكذلك الزنوج في جنوب إفريقيا أيام حكم الميز العنصري. (بحر، 1982، صفحة 10)

ثالثاً: اتّجاه العدد والفاعليّة معا

لقد تعرّض أصحاب معيار العدد، كما أصحاب معيار الفاعلية إلى كثير من النقد ممّا حدا بمجموعة من الدارسين إلى اعتماد المعيارين معا، في اتّجاه جديد وتتمحور تعريفاتهم لمصطلح الأقلية بين الجمع المتزامن بين قلّة العدد ودونية الوضع السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي. (بحر، 1982، صفحة 10) و (وهبان، 2001، الصفحات 149-188)

وبعد الوقوف عند معنى الأقلية بحسب المعايير الثلاثة، فإنّه تبين أنّه لا يوجد تعريف محدّد ومجمع عليه للأقلية، وهذا حتى داخل المعيار الواحد؛ والسبب في ذلك - بعد استقراء الآراء - راجع لأمرين اثنين، هما: تباين أوضاع الأقليات من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذه التعريفات وضعت بحسب بؤرة الاهتمام التي ينطلق منها التعريف، والسّياق الذي يندرج فيه، والوظيفة التي يراد له أن يقوم بها. والواقع أكبر شاهد على هذا، فالاختلاف حول ماهية (الأقلية) ثابت حتى في أكبر الموسوعات والقوانين الدوليّة. (بوريكوا، 1986، الصفحات 50-51) و (الكيالي، 1990، صفحة 244)

وبعد هذا العرض لمختلف الاتّجاهات والآراء في تحديد ماهية مصطلح الأقلية، يتبيّن أنّها تتركز على خصائص أساسية، بحيث تشكّل في مجموعها معنى الأقلية، وهي:

"جماعة من مواطني دولة ما، يشترك أفرادها في رابطة أو أكثر، تميّزهم عن أكثرية السكان، تسعى للحفاظ عليها بتمكين عددها، غالبا ما تكون مضطهدة وغير مسيطرة".

ومحتزات التعريف هي كالآتي:

- أ- "جماعة": إشارة إلى الجزء، وليس الكل.
- ب- "مواطني": لإخراج من لا يتمتع بصفة المواطنة، وما يلحق بها من ولاء للدولة.
- ت- "دولة ما": لإخراج من لا ينتمي إلى دولة معينة، وحياته قائمة على التجوال، كالعجر مثلا.
- ث- "تميّزهم": احترازا من الخصائص التي يشتركون فيها مع غالبية السكان.
- ج- "أكثرية": إشارة إلى أنّ هذه الجماعة هي قليلة العدد بالمقارنة مع باقي سكان الدولة.

- ح- "تسعى للحفاظ عليها": لإخراج الجماعات غير المدركة لروابطها، ولا تعمل لإثباتها، ولديها قابلية الانصهار مع الأغلبية.
- خ- "بتمكين عددها": احترازا من الجماعات التي ضعفها في عددها؛ بحيث لا يمكنها من البقاء، بل مصيرها الزوال.
- د- "غالبا": احترازا من القول القائل بأن الأقلية دائما غير مهيمنة ومضطهدة.

الفرع الثاني: تعريف لفظ "المسلمة"

أولا: في اللغة

إنّ لفظ (المسلمة): اسم مؤنث، مذكره (المسلم)، وهو اسم فاعل مشتق من فعل رباعي لازم متعد بحرف وهو (أسلم)، ومصدره (الإسلام). يقال: أسلم، يسلم، إسلاما، فهو مسلم، وهي مسلمة، وتأتي في اللغة بمعنى: الدّاخلّة في السّلم، والمخلصة، والخاضعة، والمنقادة، والتابعة لغيرها، والمفوضة أمرها لغيرها، وكما تأتي كلمة المسلمة بمعنى: المنقطعة عن غيرها، والتاركة لها.

(ابن منظور، 2003، الصفحات 243 / 245)

ثانيا: في الاصطلاح

إنّ المتبع لكلمة (الإسلام) في كتب التفسير، يجد أنّها وردت بمعان عدّة (الطبري، د. ت، الصفحات 276 / 277) و (القرطبي، د. ت، الصفحات 42 / 44)، إلّا أنّه يلاحظ أنّها - وإن اختلفت في الصياغة وبعض التراكيب والألفاظ - تصبّ في معنى واحد، وهي - وإن تباينت من حيث طولها من جهة، ومن حيث اختصارها من جهة أخرى - تؤوّل إلى تعريف واحد وهو أنّ الإسلام يعني: "الإيمان بالله وعبادته".

وبالنظر إلى هذا التعريف، يتّضح أنّه مبني على شطرين، وهما: الإيمان (الشوكاني، 2004، صفحة 1 / 210)، والعبادة.

فالإيمان يقتضي الإيمان بالله (تعالى)، وبكلّ ما جاء من عنده، والعبادة تقتضي طاعته (عزّ وجلّ) في كلّ أوامره ونواهيه.

وإذا كان هذا هو معنى (الإسلام)، فإنّ لفظ (المسلم) - باعتبارها اسم فاعل - تأتي بمعنى الذي يدين بدين الإسلام، وهذا يعني أنّ (المسلم) هو: "المؤمن بالله والمطيع له"، ومؤنّته (المسلمة)، فيأتي معناها كالاتي: "هي المؤمنة بالله والمطيعه له".

وقد عرّف محمّد رشيد رضا (المسلم) بقوله: "المسلم الحقيقي في حكم القرآن هو من كان خالصا من شوائب الشرك بالرحمان، مخلصا في أعماله مع الإيمان، من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد ومكان، وهذا هو المراد بقوله (تعالى): [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين] (آل عمران/ 85)". (رضا، 1990، الصفحات 212- 213) والملاحظ على هذا التعريف أنّه يعود- في معناه- إلى التعريف المذكور أعلاه وهو أنّ المسلم - في حقيقته - هو: "المؤمن بالله (عزّ وجلّ) والعابد له في جميع أحواله".

الفرع الثالث: تعريف "الأقلية المسلمة" كمصطلح مركب

بعد ما تمّ بيان معنى كلّ من (الأقلية) و(المسلمة)، في السياقين: اللّغوي والاصطلاحي، كلّ على حدة، فإنّه يتضح أنّ معنى اللفظين معا كمركب واحد، هو: "جماعة من مواطني دولة ما، يشترك أفرادها في رابطة الإسلام، التي تميّزهم عن أكثرية السكّان، تسعى للحفاظ عليها، وعددها يميّنها من ذلك، غالبا ما تكون مضطهدة وغير مهيمنة".

وقد ظهرت جهود كبيرة لمفكرين وعلماء في العصر الحاضر لوضع مفهوم عام للأقلية المسلمة في إطار خدمة هذه الشريحة من الأمة الإسلامية، من بينهم: يوسف القرضاوي، ومصطفى الزرقا، وعبد الفتاح أبو غدة، وسيد الدرش، ومناع القطان، وعبدالله بن بية، ومحمد العجلان، وناصر الميمان، وفيصل مولوي، وعصام البشير، وعدد من العلماء الذين يعملون في الغرب والمهتمين بالأقليات المسلمة ومشاكلها كطه جابر العلواني، وعبد المجيد النجار... حيث توجت الجهود بإنشاء مجالس للإفتاء، تختصّ بحلّ هموم الأقليات المسلمة، ويأتي على رأسها المجلس (القرضاوي، 2001، صفحة 6) (دورباو، د. ت، صفحة 217) و الأوروبي للإفتاء والبحوث.

المطلب الثالث: تعريف لفظ "الغرب"

الفرع الأول: في اللغة

الغرب والمغرب: بمعنى واحد. قال ابن سيده: "الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب"، ومنه قوله (تعالى): [ربّ المشرقين وربّ المغربين] (الرحمن/17). (ابن منظور، 2003، الصفحات 11/ 24-25)

الفرع الثاني: في الاصطلاح

الغرب أو العالم الغربي مصطلح متعدد المعاني وفقاً لسياق الحديث (أي حسب الفترة الزمنية والمنطقة والحالة الاجتماعية). وعليه فإن التعريف الأساسي لما يشكل "الغرب" متنوع حيث يتوسع ويتقلص مع الزمن وفقاً للظروف التاريخية المختلفة.

يعود مفهوم العالم الغربي في جذوره إلى الحضارة اليونانية والرومانية في أوروبا وظهور المسيحية والانشقاق الكبير في القرن الحادي عشر الذي قسّم الدين إلى شطرين: شرقي وغربي. في العصر الحديث تأثرت الثقافة الغربية بشكل كبير بتقاليد الثقافة المسيحية وعصر النهضة والتنوير، وشكّلتها التوسعية الاستعمارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. استخدم المصطلح من طرف الاتحاد السوفياتي وحلفاءه خلال الحرب الباردة ضد أعدائهم من منتصف القرن العشرين حتى وقت متأخر من القرن. في السياق السياسي والثقافي المعاصر يشير مصطلح العالم الغربي بشكل عام إلى دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وأوروبا الوسطى وأميركا اللاتينية وإسرائيل وجنوب أفريقيا. (بينت، 2010، صفحة 523)

وفي ختام هذا المبحث، يتبيّن مدى الترابط والصلة الوثيقة بين المعنيين اللّغوي والاصطلاحي لكلّ مفردة من مفردات الموضوع.

المبحث الثاني: انعكاسات الدرس العقدي وتأثيراته على أبناء الأقلية المسلمة في الغرب

إنّ للدرس العقدي أبعاداً قيمية لدى أبناء الأقلية المسلمة في الغرب، يمكن تفصيلها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: صناعة مسلم قوي بقوة عقيدته في الغرب

إنّ الشجرة لا تؤتي أكلها إلّا إذا كان الغرس جيداً، وتمّ تعهده ورعايته من البداية إلى النهاية، ولا يخفى هنا ما تعانيه الأقلية المسلمة في بلاد الغرب من معوّقات في مجال تعليم أبنائها العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ وهذا بسبب غياب المؤسسات المؤطّرة، من مدارس إسلامية ومدرّسين للدين الإسلامي. ففي إسبانيا مثلاً، فإنّ عدد المدرّسين لمادة التربية الإسلامية بلغ خمسا وخمسين فقط عبر كافة التراب الإسباني، وهذا منذ سنة 1998 وحتى 2017، وهي نسبة ضئيلة

بالمقارنة مع عدد المسلمين الإجمالي في إسبانيا الذي هو في تزايد مستمر والذي تجاوز المليونين حسب إحصائيات 2018. وكذا عدد تلاميذ المسلمين الذي سيتجاوز المليون مع نهاية 2019، وهذا بالرغم من إقرار الدستور الإسباني قانون التعليم - بما يتضمّنه من التعليم الديني - وحق الأقلية المسلمة في ذلك. (law (12886), 2014, pp. 101211- 101233) و (law (1318/2004-10002), 2004, pp. 19924- 19925)

(Union de comunidades de islamicas de España , 2015, pp. 5-14)

إنّ الجيل الناشئ من أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب في أمسّ الحاجة إلى من يلقّنه الدرس العقدي الصحيح؛ حتى يحافظ على هويته الإسلامية، ولا يكون عرضة للأفكار الضالّة التي تلقّيه في برائن الهوى والانحراف وحتى التطرّف. فكلّ مسلم - هناك - متشوّف إلى معرفة الإسلام الحقيقي عقيدة وشرعية؛ لأنّه يعلم علم اليقين أنّه الدين الحق من المولى (عزّ وجلّ) مصداقا لقوله (تعالى): [إنّ الدّين عند الله الإسلام] (آل عمران/19).

ومن جهة أخرى، فإنّ الطفل الناشئ في الغرب يكبر بعقلية غريبة؛ لأنّه تعلّم وتربّى وفق مناهج غريبة في المدارس والجامعات وكذا الثقافة المجتمعية السائدة هناك، فهو يفقه جيّدا العقلية والتفكير الغربي، فلو أضيف له التعليم الإسلامي والذي على رأسه الدرس العقدي، لتّمّت صناعة جيل مسلم ذو عقيدة صلبة ويمتلك أدوات غريبة تمكّنه من خوض الحياة في الغرب في جميع مجالاتها، بكلّ ثقة وقوّة، ومن دون أيّ خوف أو تردّد.

فالدرس العقدي - في الغرب - ورغم كلّ الثقافات المغايرة، إلّا أنّه يسهم في إعداد مسلم قوي بقوة وصلابة عقيدته؛ حيث يعرف ما له وما عليه، وتتحدّد عنده - بكلّ وضوح - الحقوق والواجبات، فلا يفرّط في نفسه ولا يتعدّى على الآخرين بغير وجه حق. وهذا من أسمى القيم التي يثمرها الدرس العقدي، وهي مهمّة صعبة يتشوّف إليها أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب جيلا بعد جيل؛ بسبب غياب المؤسسات الإسلامية المؤطّرة.

المطلب الثاني: صناعة مسلم له تأثير إيجابي في الوسط الذي يعيش فيه (أي الغرب)

إنّ إرساء قواعد للتفكير العقدي الصحيح من شأنه أن ينشئ مسلما يعلم علم اليقين معنى فعل الخير، ويعي جيّدا مفهوم إفادة الغير... وهذا مصداقا لقوله (تعالى): [فاستبقوا

الخيرات] (البقرة/148)، وقوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاثُّ). (البخاري، 1992، صفحة 1/ 34)

فالدين الإسلامي عقيدة وشرعية يأمر بالتفاعل والتأثير الإيجابي مع الغير، ولو كان من غير المسلمين ما دام مسالماً غير معتدي، يقول المولى (تبارك وتعالى) في محكم تنزيله: [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين] (المتحنة/8).

فأبناء الأقلية المسلمة في الغرب بإمكانهم أن يخدموا مجتمعاتهم التي يعيشون بين ظهرانيها، إذا تلقوا دروسهم العقدية بطريقة سليمة، وهذا من شأنه أن يجعل نظرة الآخر للمسلم إيجابية، تدفع إلى التعايش السلمي بين مختلف أطياف المجتمع.

إنّ تكوين المسلمين في الغرب على هذا النحو؛ أي وفق نظرية التأثير الإيجابي في الغير، كنتيجة حتمية لتلقي الدرس العقدي الممنهج والمنظم، من شأنه أن يجعل الآخر يثق ويطمئن للجانب المسلم، ومن ثمّ يزول شبح الإسلاموفوبيا (شيهي، 2012) و (فيدنر، 2016) الذي أرقّ أبناء الأقلية المسلمة لعقود من الزمن، وأصبحوا عنواناً لكلّ معاني التظرف والإرهاب، والإسلام بعيد جداً عن هذا المفهوم السلبي في كيفية التعامل مع الآخر. (UCIDE, 2015, pp. 1- 97)

ومن قيمة الدرس العقدي المؤثر في أبناء الأقلية المسلمة المقيمين في البلاد الغربية أنّه يزيد من نيل الحقوق على مستوى القانون والمجتمع؛ ذلك أنّ الغرب بمؤسساته كلّما اطمأنّ للمسلمين ووثق بهم، ورأى منهم التفاعل الإيجابي الذي يسهم في التنمية والتطور، كلّما ارتفعت نسبة حقوقهم (Law 16/1978, 1978, p. 29317)، وفرص تمتعهم بها .

المطلب الثالث: صناعة مسلم يعتزّ بانتمائه للأمة الإسلامية ويخدمها ولو كان مقيماً في بلاد الغرب

إنّ للدرس العقدي بعداً وتأثيراً ليس على مستوى الفرد فقط، وإنّما على مستوى الجماعة والأمة عامّة؛ ذلك أنّ المسلم ذو العقيدة الصلبة التي لا يشوبها شك ولا خلل، يعمل بكلّ ما أوتي من أجل تجسيد هذه العقيدة على مستوى نفسه وكذا على صعيد أمته؛ لأنّه يوقن جيّداً أنّ هذا الفعل هو واجب عليه شرعاً.

والمسلم المقيم في بلاد الغرب، إذا كان الدرس العقدي قد وصله بالسبل الصحيحة، فإنّ هذا يصنع منه إنسانا يفتخر بهويته الإسلامية، ويعتزّ بانتمائه لهذه الأمة، بل يعمل جاهدا لخدمتها وتحقيق الفائدة لإخوانه المسلمين، أينما وجدوا، وحيثما حلّوا، مصداقا لقوله (تعالى): [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] (آل عمران/104).

"وصيغة ولتكن منكم أمة صيغة وجوب؛ لأنها أصرح في الأمر من صيغة افعلوا لأنها أصلها. فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معلوم بينهم من قبل نزول هذه الآية، فالأمر لتشريع الوجوب، وإذا كان ذلك حاصلًا بينهم من قبل كما يدل عليه قوله [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر] (آل عمران/110)، فالأمر لتأكيد ما كانوا يفعلونه ووجوبه، وفيه زيادة الأمر بالدعوة إلى الخير، وقد كان الوجوب مقررا من قبل بآيات أخرى مثل: [وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر] (العصر/3)، أو بأوامر نبوية. فالأمر لتأكيد الوجوب أيضا للدلالة على الدوام والثبات عليه، مثل: [يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله] (النساء/136)". (ابن عاشور، د. ت، الصفحات 37-38)

إنّ أجيال الأقلية المسلمة الناشئة في الغرب، تعدّ قوة كامنة يمكن للأمة الإسلامية أن تستفيد من طاقاتها في شتى الميادين، خاصّة وأنّها مكوّنة بإمكانيات أكثر تطوّرا بالمقارنة مع وضعية البلاد الإسلامية التي لا تنفك أن تعيش في تخلف خصوصا في مجال التعليم والتحصيل العلمي. فالطفل المسلم الناشئ في الغرب بوسائل متقدمة، إذا أضيف لها تعليمه الدرس العقدي الصحيح، فسوف تكون النتيجة جدّ إيجابية على الأمة الإسلامية قبل الغرب في حدّ ذاته، وسيكون همزة وصل فعّالة بين العالم الإسلامي والغربي، ويكون أداة للدعوة ونشر الإسلام بكلّ احترافية وفي إطار القانون.

وفي ختام هذا المبحث، يمكن التوصل إلى أنّ الطفل المسلم الناشئ في الغرب، وأبناء الأقلية المسلمة عموما، يمكن أن يكونوا قوة فعّالة ومؤثّرة مع أنفسهم بالدرجة الأولى، ومع المجتمعات الغربية التي يعيشون بين أحضانها، ومع أمّتهم الإسلامية عاقمة، إذا تلقّوا عقيدة صحيحة وقوية، مؤثّرة بمؤسسات ومختصين في هذا المجال.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأبعاد الدرس العقدي وجودا وعلما على أبناء الأقلية المسلمة في الغرب

إنّ للدرس العقدي أبعادا وانعكاسات على أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب وجودا وعلما، وفي هذا المقام سوف يتمّ ذكر بعض النماذج لسلوكيات المسلمين الناشئين في الغرب، وبيان مدى علاقتها بالدرس العقدي، قوّة وضعفا وغيابا، والباحثة شاهد عيان على ما سيتمّ ذكره من أمثلة، وهذا أثناء إقامتها بإسبانيا في الفترة الممتدة ما بين 2002 و2018:

المطلب الأوّل: البعد السلبي لغياب الدرس العقدي على أبناء الأقلية المسلمة في الغرب الفرع الأوّل: تناول المحرّمات من الكحول ولحم ودهن الخنزير

إنّ أبناء الأقلية المسلمة هم بشكل أو بآخر ضحية غياب الدرس العقدي الصحيح والقوي، فهم لا يتلقون تعليما حكوميا ممنهجا في مادة التربية الإسلامية في المدارس، وعقيدتهم خاضعة لما يقدمه لهم الأولياء في البيوت، وهذا غير كافٍ لغرس عقيدة قوية يحتضنها مجتمعا أكثريا ذو ثقافة مغايرة.

وكمثال على هذا، ما حدث في نهاية عام (2010م) في حفل نهاية السنة الدراسية بمدرسة (بال بوج) الواقعة بمقاطعة برشلونة، حيث يحضر أولياء التلاميذ ليشاهدوا الحفلة، ويكون هناك أكل ومشروبات، ولكن المعارف عليه أنّ أبناء المسلمين لا يتناولوا شيئا من ذلك؛ لأنّهم يعلمون علم اليقين أنّها تحوي على الكحول ولحم أو دهن الخنزير، ولكن في هذه الحفلة اختبأ الطفلان صابر وعلاء - الأوّل من أصل جزائري، والثاني من أصل مغربي - في قسم من الأقسام وتناولوا شريحة من الخبز ولحم الخنزير.

إنّ هذا الفعل يعدّ كارثة وجريمة في أوساط أهالي أبناء المسلمين، ولكن ما أقدم عليه الطفلان هو نتيجة غياب الدرس العقدي من قبل مؤسسات مؤطرة ومنهجية، وكذا ضعف التلقين من قبل الأولياء الذين هم في العادة ذوي ثقافة دينية بسيطة.

الفرع الثاني:- ترك الواجبات الدينية كمسألة نزع الحجاب بالنسبة للمرأة

في كثير من الأحيان تجد المرأة المسلمة في بلاد الغرب تفرّط بكلّ بساطة في حجابها؛ بذريعة عدم تركها تعمل في المؤسسات بالحجاب، أو عدم السماح لها بدخول المؤسسات التعليمية لمزاولة الدراسة وهي محجبة.

وكمثال على هذا، الجزائرية فاطمة، وهي متحصلة على شهادة الليسانس في الفلسفة من الجزائر، وكانت تزاوّل مهنة التدريس في بلدها الأمّ، ولكن بمجرد انتقالها للعيش في إسبانيا، وفي سبيل اختصار الطرق لكسب المال، نزلت حجابها بحجة أنّ التوظيف في الشركات لا يقبل الحجاب، مع أنّ أمورها كانت ميسورة، فزوجها كان عاملاً، ووضعية الأسرة كباقي الأسر المسلمة المقيمة في بلاد الغرب.

ورغم النصّح المتكرّر لها إلّا أنّها كانت مصرة، ومثيلاًتها كثيرات في بلاد الغرب، وهذا العناد والتفريط في الدين من غير أي ضرورة تذكر؛ مردّه في الحقيقة إلى غياب أو ضعف الدرس العقدي الذي تلقته، سواء في بلدها الأمّ؛ لأنّها كبرت في الجزائر، أو في محلّ إقامتها إسبانيا.

الفرع الثالث: إقامة العلاقات المحرّمة (الزنا) من النساء والرجال

إنّ مسألة إقامة العلاقات المحرّمة في بلاد الغرب أمر شائع، والمجتمع الغربي يرى ذلك من الحرية الشخصية للأفراد، وما يهمّ في هذا المقام، هو إقبال أبناء الأقلية المسلمة على هذا الفعل، وكأنّه حلال في الدين الإسلامي، ونذكر هنا:

- قصة كمال الجزائري مع الأوكرانية ليسا، حيث طلق هذا الأخير زوجته المسلمة (ابنة عمّه) وأقام علاقة غير شرعية بالأوكرانية، ويقول هي زوجتي، وأنجب منها طفلة سمّاها كريمة، مع أنّه لم يعقد عليها العقد الشرعي.

- قصة المغربية حليلة التي تزوّجت برجل إسباني غير مسلم، وأنجبت منه طفلة سمّتها مريم، مع أنّها تعلم جيّداً حرمة زواج المسلمة بغير مسلم.

- قصة الجزائري نبيل الذي عاش لمدة تزيد عن عشر سنوات مع الإسبانية روسي في علاقة محرّمة، ولكنّه بعد ذلك عقد عليها بصورة شرعية وتزوّجها، وأنجب منها الطفل سمير، والطفلة نور. والقصص في هذا المجال كثيرة... وهذا في حقيقته يعود إلى ضعف الوازع الديني بسبب ضعف العقيدة والمناهج المتبعة في تلقينها وتدريبها.

المطلب الثاني: البعد الإيجابي لحضور وممارسة الدرس العقدي لدى أبناء الأقلية المسلمة في الغرب

الفرع الأول: التمسك بالواجبات الدينية رغم كل الصعاب

نذكر على سبيل المثال، الطفلة المغربية إيمان، التي بمجرد انتقالها للمتوسطة ارتدت الحجاب، ولكن مدير المؤسسة هدّدها بالطرد في حالة عدم نزعها للحجاب، وهذا بالرغم من أنّها تلميذة مجتهدة ومن الأوائل، ولكن رغم كل المضايقات والتهديدات، إلا أنّها تمسكت بحجابها، وأثبتت للمدير بأن فعلها هذا هو نابع من عقيدتها الدينية، فما كان منه إلا أن رضخ في الأخير، وأصبحت قدوة للفتيات المسلمات من بعدها، ولم يعد الحجاب عائقاً في تلك المتوسطة فيما بعد.

إنّ هذا التمسك بالحجاب من طفلة ولدت ونشأت وتعلّمت في الغرب، ما هو إلا نتيجة لعقيدة قوية تلقّتها من والديها، رغم بساطة مستواهما الثقافي، في حين، رأينا نماذج أخرى كبرت في البلاد الإسلامية، إلا أنّها ببساطة تخلّت عن دينها لمصالح ومآرب دنيوية.

الفرع الثاني: فتح وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية رغم محدودية الموارد المالية

إنّ العقيدة الراسخة لوجوب إقامة فريضة الصلاة، ونشر الوعي والثقافة الإسلامية لدى أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب، يجعل من المسلمين في تلك البلاد يؤثرون على أنفسهم رغم كلفة الحياة في الغرب؛ من أجل فتح مساجد لإقامة الصلاة، وكذا إعطاء الدروس الدينية لأبناء الأقلية المسلمة لترسيخ العقيدة الإسلامية والحفاظ على الهوية الأمّ في مجتمع مغاير ومتعدد الثقافات والمعتقدات.

ومسألة شراء وبناء المساجد في الغرب تعدّ من أصعب الأمور؛ لما يتخلّلها من معوّقات: تارة قانونية، وتارة سياسية، وأخرى اقتصادية...

(Union de comunidades de islamicas de España, 2017)

فمثلاً في مدينة (بال بوج)، تأخّر فتح المسجد رغم الصعوبات المالية؛ بسبب رفض السكان المحليين لذلك بحجة الإزعاج وإحداث الفوضى.

وما حصل في مدينة (بادالونا) الواقعة بجوار مدينة برشلونة، ويسكنها حوالي (1500) مسلم. حيث لم يجد المسلمون مكاناً لائقاً لأداء الصلاة فيه؛ بسبب الصعوبات والعراقيل بزعامة

حبّية معنصر

الحزب الشعبي اليميني، وانتهى بهم الأمر إلى الصلاة في محلّ مساحته (90 متر²) مفتوح كمسجد في شارع آسيا في حي ليفيا. مع العلم أنّ مركز اليونيسكو بكتالونيا أنجز خريطة التنوع الدينية ببادالونا، وذلك بطلب من البلدية نفسها، والملاحظ أنّ هذه الخريطة توضح وجود أربع عشرة كنيسة إنجيلية مفتوحة، وهذا على الرّغم من أنّ الجماعة المسلمة هي أكبر من الجماعة الإنجيلية بخمس مرّات، ولدى "شهود يهوه" قاعتان للصلاة، وحتى "السيخ" يمتلكون محلين للعبادة، إذن الأمر يتعلق برفض خصوصي "للمجتمع المسلم" والذي لا يظهر أو يتمّ بالشدة نفسها بالنسبة للجماعات الأخرى. (حوا، 2014)

والأمثلة في هذا الباب لا تعدّ ولا تحصى، والمتتبع لها يدرك جيّداً معانات الأقلية المسلمة في الغرب في سبيل فتح المساجد؛ لا شيء إلاّ لعقيدها الرّاسخة التي تفرض على المسلم إقام الصلاة وتعلّم دينه.

الفرع الثالث: الدّعوة إلى الإسلام ونشره في الغرب من طرف أبنائه في حدّ ذاتهم

إنّ صناعة التفكير العقدي الصحيح لدى أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب، من شأنه أن يكون أجيالا تعتزّ بدينها، وتعمل على نشره وتبليغه للغير، وفي هذا فتح باب كبير لغير المسلمين من أبناء الغرب كي يطلّعوا على الإسلام، والدخول فيه، ويتحمّلوا هم بدورهم مهمّة الدعوة إلى الله في تلك البلاد. ومن الشخصيات الغربية التي أسلمت وتبنّت فيما بعد نشر الإسلام ومبادئه:

- رئيس الاتحاد الإسباني للكيانات الدينية الإسلامية السابق (منصور عبد السلام إسكوديرو)، وهو طبيب نفساني، ولد عام (1947م) بمدينة (مالقا) تحت اسم (فرانسييسكو إسكوديرو بيداتي)، وتوفي عام (2010م)، تولى منصب الأمين العام للمجلس الإسلامي، وكان قد اعتنق الإسلام في نهاية السبعينات، وكان له دور بارز في دمج المسلمين في النسيج السياسي والديني والاجتماعي في إسبانيا. (الغرناطي، 2022)

- وكذلك من أبرز الشخصيات في إسبانيا (هاشم إبراهيم كابريرا)، وهو فنّان تشكيلي إسباني اعتنق الإسلام، ولد عام (1954م) بمدينة إشبيلية، يعتبر واحداً من أبرز مفكري الإسلام المعاصر في إسبانيا، كما أنه من الأعضاء القياديين بالمجلس الإسلامي في إسبانيا، شارك في تأسيس مركز (Hashim Cabrera, 2014) التوثيق والنشر الإسلامي.

وفي ختام هذا البحث، يمكن القول أنّ فاعلية أبناء الأقلية المسلمة في الغرب تدور مع دوران الدرس العقدي؛ فكلّما كان حاضرا وممارسا، كلّما كانت أبعاده جدّ عميقة على مستوى الأقلية المسلمة وعلى نطاق المجتمع الغربي بكامله. وكلّما ضعف أو غاب، كلّما انعكس سلبا في بلاد الغرب على الصعيدين المسلم وغير المسلم.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، تمّ التوصل إلى النتائج الآتية:

- 1- الدرس العقدي مهمّ في حياة المسلم، سواء داخل البلاد الإسلامية أو خارجها.
- 2- حق أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب في تلقي الدرس العقدي باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية.
- 3- الدرس العقدي يسهم في صناعة مسلم قوي بقوة عقيدته في الغرب.
- 4- الدرس العقدي يسهم في تكوين مسلم ذو تأثير إيجابي في المجتمع الغربي الذي يعيش فيه.
- 5- الدرس العقدي يسهم في بناء مسلم يعتزّ بانتمائه لأُمّته، ويعمل على خدمتها ومنفعتاتها ولو كان بعيدا عنها جغرافيا.
- 6- الدرس العقدي أداة للحفاظ على الهوية الإسلامية لأبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب.

التوصيات:

- في نهاية هذا البحث، يمكن التوصية بما يأتي:
- 1- دعم أبناء الأقلية المسلمة في بلاد الغرب بالمختصين في مجال العقيدة الإسلامية؛ بغية صناعة أجيال تفقه عقيدتها.
 - 2- إقامة لقاءات دولية في مجال الدرس العقدي، بحيث يحضرها مختصين من أبناء الأقلية المسلمة في الغرب، وكذا أهل الاختصاص من غير المسلمين من الغرب؛ حتى يتمّ تبادل الرؤى والخبرات، وتعمّ الفائدة.
 - 3- ترجمة ما أثمره العلماء المسلمين في مجال الدرس العقدي إلى اللّغات العالمية؛ حتى يستفيد منها أبناء الأقلية المسلمة وغيرهم عبر العالم.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- الكتب:

1- باللغة العربية:

- ف، بوريكو، (1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- محمد بن أحمد، القرطبي، (د. ت)، الجامع لأحكام القرآن، لبنان، دار الفكر.
- محمد بن إسماعيل، البخاري، (1992)، صحيح البخاري، الجزائر، دار الهدى.
- محمد الطاهر، ابن عاشور، (د. ت)، تفسير التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون.
- محمد بن جرير، الطبري، (د. ت)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر، دار المعارف.
- محمد رشيد، رضا، (1990)، تفسير المنار، مصر، المصرية العامة للكتاب.
- محمد بن علي، الشوكاني، (2004)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، لبنان، دار المعرفة.
- يوسف، القرضاوي، (2001)، في فقه الأقليات المسلمة، مصر، دار الشروق.

2- باللغة الأجنبية:

- UCIDE, (2015) , informe especial 2014: Institución para la observación y seguimiento de la situación del ciudadano musulmán y la islamofobia, España, CMCE.
- Estudio (2015), Union de comunidades de islamicas de España demográfico, de la población musulmana: Explotación estadística del censo de ciudadanos musulmanes en España referido a fecha 31/12/2014, España, CMCE.
- Estudio (2017) ,Union de comunidades de islamicas de España demográfico de la población musulmana: explotación estadística del censo de ciudadanos musulmanes en España referido a fecha España, CMCE. 31/12/2016,

ب- النصوص القانونية

- law (16/1978), Spain: BOE, num 311, 1978, p 29317.
- law (7/1980-15955), Spain: BOE, num177, 1980, p 16804-16805.
- law (1318/2004-10002), Spain: BOE, num130, 2004, p 19924-19925.
- law (12886/2014), Spain: BOE, num 299, 2014, p 101211- 101233.

هـ- المعاجم:

- محمد بن مكرم، ابن منظور، (2003)، لسان العرب، لبنان، دار صادر.



و- المواقع الالكترونية:

- Distance Education Accrediting Commission (2013), "CHEA-Recognized Scope of Accreditation, Way Back Machine: <https://web.archive.org/>

- Halal Global Concept, (2014) Hashim Cabrera, halal:

<http://www.halalglobalconcept.com/index.php/en/speakers-en/151-hashim-cabrera>

- مستشار (2016)، "تعريف الدرس"، من المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية:

<https://hrdiscussion.com/hr111503.html>

- بلال الغرناطي (2022)، "نبذة عن الناشط الإسباني منصور إسكوديرو الذي ناضل لاستعادة مسجد قرطبة التاريخي"،

<https://espanaenarabe.com/>

من إسبانيا بالعربي:

/

- منى حوا (2014)، "دراسة حالة: صعوبات إنشاء المساجد في إسبانيا"، من أندلسي:

<https://andalushistory.com/>